الفصل الأول :

التعريف بـ (يحيى بن وثَّاب)

● اسمه ونسبه :

هو أبو محمد يحيى بن وثاب - بالثاء المثلثة المشددة - ، الكوفيّ، الأسديّ، «مولى بنى كاهل من بنى أسد بن خزيمة»، وهو من التابعين رضى الله عنهم أجمعين.

كان أبوه «بزدويه بن ماهويه» من أهل «قاشان»، ومن أبناء أشرافها، سباه مجاشع بن مسعود السلمى لما فتح «قاشان»[1]، وكان الأب محظوظا عندما وقع فى سهم أحد أشراف قريش وهو عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب، فسماه مولاه وثَّابًا، ولما تزوج ورزق بولده «يحيى» أقام مدة فى كنف ابن عباس ثم استأذنه فى الرجوع إلى موطنه الأصلى «قاشان»، فأذن له، واستأذن «يحيى» والده فى المقام بالكوفة إيثاراً لطلب العلم على طلب المال فأذن له، فأقبل «يحيى» على القرآن حتى صار أقرأ أهل زمانه، وفاق نظراءهُ فى القرآن والآثار، وتوفى رحمه الله سنة ثلاث ومائة من الهجرة النبوية[2].

● مكانته وسيرته[3]:

لقد شهد ليحيى بن وثاب أهل زمانه بإمامته فى القراءة، فهو «الإمام

---

(١) فى تاج العروس ٩ / ٣١١ (قشن): وقاشان بلد قرب قُمْ، وأهله شيعة أ هـ . وهى تقع حاليا فى جمهورية إيران.

(٢) ينظر فى ترجمته: المعارف لابن قتيبة ٥٢٩، وسير أعلام النبلاء ٤ / ٣٧٩ - ٣٨١، ومعرفة القراء الكبار ١ / ٦٢ - ٦٤ والجرح والتعديل ٩ / ١٩٣ رقم ٨٠٦ وتحرير التقريب لابن حجر ٤ / ١٠٣ (رقم ٧٦٦٤)، والكاشف للذهبى ٢ / ٣٧٨ (رقم ٦٣٧٣)، وطبقات بن سعد ٦ / ٢٩٩، والنشر لابن الجزرى ١ / ١٦٥، وطبقات القراء ٢ / ٣٨٠، والعبر فى خبر من ذهب ١ / ٩٥.

(٣) تنظر المراجع السابقة.

القدوة المقرئ»، و« شيخ القراء» معدود فى الطبقة الرابعة منهم كان يقرئ أهل الكوفة فى زمانه، وقد فاق نظراءه فى القرآن حتى صار أقرأ أهل زمانه، قالوا عنه: إنه أقرأ من بال على تراب، وربما اشتهيت تقبيل رأسه لحسن قراءته، وكان إذا قرأ فى المسجد لا تسمع حركة، حتى كأنه ليس فى المسجد أحد.

وقد عرف عن أبى محمد يحيى بن وثاب رضى الله عنه إلى جانب إمامته فى القراءة أنه كان يؤم الناس للصلاة فى أحد مساجد الكوفة، وهذا إن دلّ على شىء فإنما يدل على سلوكه وحسن سيرته فى الناس.

ومما قيل عنه أيضًا أنه كان خاشعًا، حاضرًا فى صلاته، إذا رأيته وقف للصلاة قلت: هذا وقف للحساب...، وكان إذا قضى صلاته مكث فى المسجد مليا ما شاء الله، وعليه مسحة من الخشوع.

وكان رضى الله عنه زاهداً فى ملبسه، وكان يصلى فى «مُسْتُقة»[1]، لكنه كان عزيز النفس، يدل على ذلك أن الحجاج بن يوسف الثقفى لما أصدر أمره بألا يؤمّ للصلاة فى الكوفة إلا عربى النّسب، فقال القوم ليحيى بن وثاب: اعتزل الإمامة!! فتحيّن الفرصة وأسمع الأمير صوته بالقراءة، فانتبه الحجاج، وقال: من هذا؟ قالوا: إنه يحيى بن وثاب، قال: ماله؟ قالوا: أمرت ألاّ يؤم إلا عربىّ، فنحاه قومه، فقال: ليس عن مثل هذا نهيت، فصلى بهم يومًا، ثم قال: اطلبوا إماما غيرى؛ إنما أردت ألاّ تستذلونى، فإذا صار الأمر إلىّ فانا لا أؤمكم[2].

● شيوخه فى الفقه والحديث:

انفرد الذهبى فى سير أعلام النبلاء بنعت يحيى بن وثاب بـ«الفقيه»، وهو على حق، لأنه من المستبعد أن يؤم الناس للصلاة وهو غير عالم بمسائل الفقه فى الشريعة، ويغلب على الظن أن شيوخه فى الفقه هم أنفسهم شيوخه فى الحديث، فقد روى أنه حدّث عن عبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر، وأنه روى مرسلا عن عائشة وأبى هريرة وابن مسعود وابن الزبير وغيرهم؛ لأن مدرسة الفقه

---

(١) المُسْتُقة بضم التاء وفتحها: فروة طويلة الكم، معرّبة. القاموس المحيط ٣/ ٢٤٤ ستق.

(٢) معرفة القراء الكبار ١/ ٦٢، ٦٤.

فى هذا العصر لم تكن قد انفصلت عن مدرسة الحديث، فالشيخ فى الصدر الأول من الإسلام كان محدثًا ومقرئًا وفقيها[١].

● شيوخه ومصادرهم فى القراءة:

١ – عبيد بن نضلة السلمانى: تعلم منه ابن وثّاب القرآن آية آية، وكان قد قرأ على علقمة، وقرأ علقمة على عبدالله بن مسعود، وقرأ ابن مسعود على النبىّ ﷺ[٢].

٢ – علقمة بن قيس بن عبدالله بن مالك (أبو شبل)، النخعى، الفقيه الكبير، ولد فى حياة النبى ﷺ، قرأ عليه يحيى بن وثاب، وأخذ عنه القراءة عرضا، وكان علقمة قد صاحب عبدالله بن مسعود، وقرأ عليه وسمع من على وعمر وأبى الدرداء وعائشة، ومات سنة اثنتين وستين من الهجرة[٣].

٣ – الأسود بن يزيد بن قيس (ابن أخى علقمة السابق)، يكنى أبا عبد الرحمن، قرأ عليه يحيى بن وثاب، وأخذ عنه القراة عرضا، وكان الأسود قد صاحب عبدالله بن مسعود وقرأ عليه، توفى سنة أربع وسبعين، وقيل سنة خمس وسبعين من الهجرة[٤].

٤ – مسروق بن الأجدع، من همدان، ويكنى أبا عائشة، قرأ عليه يحيى ابن وثاب، وأخذ عنه القراءة عرضا، وكان مسروق قد قرأ على عبدالله بن مسعود رضى الله عنه، توفى سنة ثلاث وستين من الهجرة[٥].

٥ – أبو مريم زرّ بن حبيش بن حباشة الأسدى، قرأ عليه يحيى بن وثاب، وروى عنه، وكان أبو مريم أعرب الناس، وكان عبدالله بن مسعود يسأله عن العربية، وقراءته موصولة بعبد الله بن مسعود، وعثمان بن عفان، وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهم، عاش مائة وعشرين سنة، وتوفى سنة ثلاث وثمانين من الهجرة[٦].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٧٩ – ٣٨١، والمعارف ٥٢٨.
(٢) الطبقات الكبرى ٦/ ٢٩٩، والنشر ١/ ١٦٥، طبقات القراء ١/ ٤٩٧، ٤٩٨.
(٣) المعارف لابن قتيبة ٤٣١، والنشر ١/ ١٦٥، وطبقات القراء ١/ ٥١٦.
(٤) المعارف ٤٣٢، والنشر ١/ ١٦٥، طبقات القراء ١/ ١٧١.
(٥) المعارف ٤٣٢، والنشر ١/ ١٦٥، طبقات القراء ٢/ ٢٩٤.
(٦) المعارف ٤٢٧، والنشر ١/ ١٥٥، طبقات القراء ١/ ٢٩٤.

٦ – أبو عمرو الشيبانى، اسمه سعد بن إياس (أو ابن إلياس)، قرأ عليه يحيى بن وثاب، وأخذ عنه القراءة عرضا، وكان الشيبانى قد قرأ على عبد الله ابن مسعود، وعاش مائة وعشرين سنة[١].

٧ – أبو عبد الرحمن السلمى الكوفى، هو عبدالله بن حبيب بن ربيعة الضرير، كان مقرئًا، ومعلمًا، ويحمل عنه الفقه، انتهت إليه القراءة تجويدًا وضبطًا، وكان ثقة كبير القدر، له حديث مخرج فى الكتب الستة، ولد فى حياة النبى ﷺ، ولم يزل يقرئ الناس من زمن عثمان رضى الله عنه حتى توفى سنة أربع وسبعين من الهجرة، كان ابن وثاب قد أخذ عنه القراءة عرضًا، وأخذ هو عن عثمان بن عفان، وعلى بن أبى طالب، وأبى بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبدالله بن مسعود، وجميعهم أخذ عن رسول الله ﷺ[٢].

● أشهر تلاميذه:

١ – أبو محمد سليمان بن مهران «الأعمش»، مولى لبنى كاهل من بنى أسد، ولد يوم مقتل الحسين بن على رضى الله عنهما سنة إحدى وستين، ومات سنة ثمان وأربعين ومائة من الهجرة، اشتغل برواية الحديث وبالقراءة، غير أن الحديث كان أغلب عليه من القراءة، وكان الأعمش قد قرأ على يحيى بن وثاب، ثم كان شيخًا لحمزة بن حبيب الزيات[٣].

٢ – أبو محمد طلحة بن مصرف اليامى، وهو أبو عبدالله أيضًا، أصله من همدان، قرأ على يحيى بن وثاب، وكان قارئ أهل الكوفة فى زمانه، فلما رأى كثرة الناس عليه كره ذلك، ومشى إلى الأعمش فقرأ عليه، فمال الناس إلى الأعمش، وتركوا طلحة، مات رضى الله عنه سنة اثنتى عشر ومائة[٤].

---

(١) المعارف ٤٢٦، والنشر ١ / ١٥٥ طبقات القراء ١ /٣٠٣.

(٢) المعارف ٥٢٨، ٥٤٧، والنشر ١ / ١٥٥، طبقات القراء ١ / ٤١٣، تحبير التيسير ٢١.

(٣) المعارف ٤٨٩، ٤٩٠، النشر ١ / ١٦٥ وطبقات القراء ١ / ٣١٥ وتحبير التيسير ٢١، سير أعلام النبلاء ٤ / ٣٨٠.

(٤) المعارف ٥٢٩، النشر ١ /١٦٥، معرفة القراء الكبار ١ /٦٣ وطبقات القراء ١ /٣٤٣.

٣ – حبيب بن أبى ثابت (أبو يحيى) القرشى، حدث عن يحيى بن وثاب، وعرف بالصدق فى روايته مات سنة تسع عشرة ومائة من الهجرة[١].

٤ – أبو إسحاق السبيعى، واسمه عمرو بن عبدالله، ينتسب إلى بطن من همدان يقال لهم السبيع، ولد قبل انتهاء خلافة عثمان بثلاث سنين، ومات سنة سبع وعشرين ومائة عن خمس وتسعين سنة، حدَّث عن يحيى بن وثاب، وقد ذكر من مروياته أنه روى جماعة عن أبى إسحاق عن يحيى عن ابن عمر: (من راح إلى الجمعة فليغتسل)[٢].

٥ – أبو إسحاق الشيبانى، اسمه سليمان بن أبى سليمان، مولى لبنى شيبان حدّث عن يحيى بن وثاب، وتوفى سنة تسع وعشرين ومائة من الهجرة[٣].

● منزلة قراءته بين القراءات :

وضع المتأخرون من علماء القراءات معايير خاصة، على أساسها تصنف القراءات القرآنية إلى قراءات سبعية أو عشرية وإلى ما فوق العشرة أو الشاذة، وفى أحيان كثيرة خلعوا على السبعية والعشرية صفة المتواترة، ونفوا تلك الصفة عما عداها من القراءات، يقول ابن الجزرى: القراءة المتواترة هى « كل قراءة وافقت العربية مطلقًا، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديرًا، وتواتر نقلها »[٤]، ويقول أيضًا: والذى جمع فى زماننا هذا الأركان الثلاثة هو قراءة الأئمة العشرة التى أجمع الناس على تلقيها بالقبول، وهم أبو جعفر، ونافع، وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائى، وخلف[٥]، ثم يقول: والصحيح أن ما وراء العشرة فهو شاذ، وفاقا للبغوى، والشيخ الإمام على ابن عبدالكافى السبكى[٦].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤ / ٣٨٠.
(٢) المعارف ٤٥١، وسير أعلام النبلاء ٤ / ٣٨٠، ٣٨١.
(٣) المعارف ٤٥١، وسير أعلام النبلاء ٤ / ٣٨٠.
(٤) منجد المقرئين ٩١.
(٥) السابق ٩٣.
(٦) السابق٩٥.

لكننا رأينا ابن الجزرى فى كتابه النشر يعطى مفهومًا أوسع للقراءة الصحيحة، بحيث لا تنحصر القراءة المتواترة فى قراءة الأئمة العشرة الذين سبق ذكرهم، بمعنى أنه ليس من الحتم أن تخرج عنه كل قراءات من سواهم، وليس بالضرورة أن تدخل فيه كل قراءة نسبت إلى أحد منهم، يقول فى ذلك: «كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف ولو احتمالا، وصح سندها، فهى القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردها، ولا يحل إنكارها، بل هى من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم، هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف.. قال أبو شامة رحمه الله فى كتابه «المرشد الوجيز»: فلا ينبغى أن يغتر بكل قراءة تعزى إلى واحد من هؤلاء الأئمة السبعة ويطلق عليها لفظ الصحة وإن هكذا أنزلت، إلا إذا دخلت فى ذلك الضابط، وحينئذ لا ينفرد بنقلها [أى القراءة الصحيحة] مصنف عن غيره، ولا يختص ذلك بنقلها عنهم، بل إن نقلت عن غيرهم من القراء فذلك لا يخرجها عن الصحة، فإن الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف لاعمن تنسب إليه، فإن القراءات المنسوبة إلى كل قارئ من السبعة وغيرهم منقسمة إلى المجمع عليه والشاذ، غير أن هؤلاء السبعة، لشهرتهم، وكثرة الصحيح المجتمع عليه فى قراءتهم تركن النفس إلى ما نقل عنهم فوق ما ينقل عن غيرهم»[1].

وكان ابن جنى رحمه الله قد سبق غيره فى بيان قوة ما يسمى من القراءات شاذا، وأنه مع خروجه عن القراءات السبعة نازع بالثقة إلى قرائه، محفوف بالروايات من أمامه وورائه آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه، ولعله أو كثيرا منه مساوٍ فى الفصاحة للمجتمع عليه[2].

---

(١) النشر ١/ ٩، ١٠.

(٢) بتصرف من مقدمة المحتسب لابن جنى ٣٢، ٣٣.

ونحن فى ضوء ما سبق لا نرتاب لحظة فى أن قراءة صاحبنا أبى محمد يحيى بن وثاب من القراءات التى اجتمعت لها أركان الصحة، وأسباب القوة، وهى كما يأتى:

١ - الركن الأول - صحة السند:

لقد أثبتنا عند الحديث عن شيوخه أن قراءة يحيى بن وثاب متصلة السند برسول الله ﷺ؛ فقد كان من شيوخه أبو عبدالرحمن السلمى الضرير، وأبو مريم زر بن حبيش، وأبو عمرو بن إياس الشيبانى، قال ابن الجزرى: «وقرأ هؤلاء الثلاثة على عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، وقرأ السلمى وزر أيضًا على عثمان ابن عفان، وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما، وقرأ السلمى أيضًا على أبىّ بن كعب، وزيد بن ثابت، رضى الله عنهما، وقرأ ابن مسعود، وعثمان، وعلى، وأبىّ، وزيد، على رسول الله ﷺ»(١).

٢ - الركن الثانى - موافقة خط المصحف:

كان الخليفة الثالث عثمان بن عفان قد جمع المصاحف فى مصحف واحد، وكان ذلك عند ما حضر حذيفة بن اليمان فتح أذر بيجان وأرمينية، ورأى الناس يختلفون فى ألفاظ القرآن اختلافًا شديداً، حتى كاد بعضهم يكفر بعضا، فأشار على الخليفة بجمع الناس على مصحف واحد؛ حتى لا يختلفوا فى كتاب الله كاختلاف اليهود والنصارى، فأمر عثمان رضى الله عنه بأن تجمع المصاحف فى مصحف واحد، وأن تكتب منه سبع نسخ، وأمر بتوجيهها إلى الأمصار: البصرة، والكوفة، ومكة، والشام، واليمن، والبحرين، وأمسك لنفسه مصحفًا، وهو الذى يقال له المصحف الإمام، وأمر كذلك بحمل الناس على أخذ ما فيها، وترك ما خالفها(٢).

وقد ترتب على ذلك - فيما بعد - أن «اختار المسلمون من كل مصر وُجه إليه مصحف أئمةً مشهورين بالثقة والأمانة فى النقل، وحسن الدين وكمال

---

(١) النشر ١ / ١٥٥، وينظر ما كتبناه عن شيوخه.

(٢) النشر ١ /٧، والإبانة عن معانى القراءات ٦٢ - ٦٥.

العلم، أفنوا عمرهم في القراءة والإقراء، واشتهر أمرهم، وأجمع أهل مصرهم على عدالتهم فيما نقلوه، وثقتهم فيما قرءوه ورووه، وعلى علمهم بما يقرءون، **ولم تخرج قراءتهم عن خط مصحفهم**، وهؤلاء منهم:

- بالمدينة: أبو جعفر، وشيبة، ونافع.
- وبمكة: عبدالله بن كثير، وحميد الأعرج، وابن محيصن.
- **وبالكوفة: يحيى بن وثاب**، وعاصم، والأعمش، وحمزة، والكسائي.
- وبالشام: عبدالله بن عامر، وعطية بن قيس الكلابي، ويحيى بن الحارث الذماري.
- وبالبصرة: عبدالله بن إسحاق، وأبو عمرو بن العلاء، وعاصم الجحدريّ، ويعقوب الحضرمي»[1].

ومن خلال الكلام السابق نتبين بوضوح تحقق ابن الجزري يقينا من موافقة قراءة ابن وثاب لخط المصحف الذي أرسل إلى الكوفة، ومن أن صاحبنا هذا معدود في القراء الثقات الموصوفين بالأمانة والعدالة والضبط فيما قرءوا به، وفيما نقلوه عن غيرهم، شأنه في ذلك شأن القراء السبعة أو العشرة الذين أورد ابن الجزري أسماءهم في كلامه المتقدم.

٣ - الركن الثالث:

أن توافق القراءة أحد الوجوه الجائزة في اللغة العربية أو في لهجاتها فتحمل عليه، ويحمل هو عليها، ومن هنا أجاز العلماء تعلمها وتعليمها، وتدوينها في الكتب، وبيان وجهها من حيث اللغة والإعراب والمعنى، والاستدلال بها على وجه من وجوه اللغة العربية، بل أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياسًا معروفًا، بل لو خالفته يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه، وإن لم يجز القياس عليه، ولا يعلم في ذلك خلاف بين النحاة[2].

---

(١) منجد المقرئين ١١٣، ١١٤.

(٢) الاقتراح في علم أصول النحو. ١٥.

وهذا يعنى أن الشذوذ فى القراءات إنما هو شذوذ عن القواعد الموضوعة بغير استقصاء كاف لأوضاع العربية وأحوالها، وليس شذوذا عن سنن العربية وطبيعتها[1].

وحسبنا بعد ذلك أن نقرر أننا فى القدر الذى جمعناه من قراءة يحيى ابن وثاب، وعرضنا له فى هذا البحث – لم نجد فيه ما يعد خارجا بالكلية عن أقيسة اللغة العربية، أو اختلاف اللهجات، مما يؤكد لنا– وللقارئ أيضًا – أننا بصدد النظر فى مادة لغوية موثقة، صالحة للوصف والتحليل والتفسير على المستوى الذى حددناه لدراسة هذه القراءة، وهو المستوى الصوتى.

فمن الله نستمد العون، ونساله الهدى والرشاد، والتوفيق والسداد، إنه نعم المجيب.

* * *

(١) الحديث النبوى الشريف وأثره فى الدراسات اللغوية والنحوية ٢٨٧.